

للنقد الخالص

من عجائب الفهم...!

للأستاذ زكي طلبات

مفتش شؤون التثمين بوزارة للآثار

للنقد الأدبي اليوم في مصر حركة ونشاط ، وكان الأدب في مصر ، وقد تأثر بالهزة للمنيقة التي أنزلتها الحرب للقاعة بالنظم والأوضاع في حياة العالم بأسره ، يخلج اليوم اختلاجات عنيفة ويتحوى وينقبض شأن كل كائن يهياً لحركة عنيفة ، أو يتحفز لوثبة قادمة

والحرب والنقد شيء واحد ، فالحرب — كما قرر بعض علماء الاجتماع — وقفة تفقها الإنسانية تراجع فيها نظمها وما كانت عليه ، لتتدارك ما « تضخم » من طفيليات المذاهب ، وتفتح عروقها لتتفصد بما طنى عليها من الأوشاب والفضول ، والنقد في طبيعته ووسائله ومقاصده لا يختلف عن هذا

وقيام هذه الحركة النقدية في مصر اليوم جدير بالاهتمام حري بالتأمل ، يمت الارتياح في نفس كل تواق إلى أن يرى الأدب في مصر يفتح مناطق جديدة من النشاط الذهني ، ويعمل على أن يتخلص من مله وأمراضه . فالنقد شاهد على حيوية الأدب ، وفيه ما ينهض دليلاً على أن الذهن يتطلع ، ويؤمل ، ويراجع ، ويتبصر ، وينصب الميزان للمصحيح

وآخر ما قرأناه في هذا الموضوع فقد بعنوان « من عجائب الاجتهاد » بأعضاء (ناقد أدبي) ، تناول في تقديمه هذا مسرحية « مفرق الطريق » للدكتور بشر فارس

و « مفرق الطريق » مسرحية أخرجها مؤلفها إلى الناس منذ عامين فدوت في عالم التأليف المصري دويًا واسمًا ، دفع الأقلام إلى تناولها بين مادح ومستنرب ، وكانت (الرسالة) القراء معرضًا لما ديجته هذه الأقلام ، وقد كان لي سهم في الكتابة عن هذه المسرحية ، فبسطة دقائقها ، وكشفت عن معانيها الخفية ، وبينت أصلها في الرضوية المتحدثة ، وقررت جدتها في عالم التأليف المصري للمسرحية

قرأت نقد (الناقد الأدبي) وكان أول ما عجبته أنه يخرج

ذلك المقال متأخرًا ، بمد أن مضى على ظهور المسرحية أكثر من عامين ، ويمد أن خبت النار التي اشتعلت حولها . عجبت لهذا ثم عجبته لما هو آخذ من هذا ... مما يصح أن يقف القارى عليه خلال مطالمة مقال هذا ليشاطرنى عجبى ، وليذهبي إلى ما انتهيت إليه

يزعم (الناقد الأدبي) أن الفكرة التي تقوم عليها (مفرق الطريق) توافق في جوهرها فكرة فلسفية أوردتها (الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد) في قصيدة له عنوانها « القمة للباردة » ويحاول تأييد زعمه هذا بإيراد جمل وألفاظ غير مفهومة ، مقطعة عمدًا من المقدمة التي قدم بها الأستاذ للعقاد قصيدته ، ومن التوطئة التي مهتد بها الدكتور بشر فارس لمسرحيته ، عبارات ملتقطة ق تفسف واقتضاب يجعلها تحمل وجوهاً من التأويل اللفظي ققط ، قد يخلق معها المعنى الصريح ، فتنبهت شكوك القارى . وكان « الناقد الأدبي » ينسى أو هو يتناسى أنه لا يجوز الحكم في قضية بإيراد بعض ألفاظها المنسلخة من قصد مرسوم

ما هي الفكرة الفلسفية التي تقوم عليها قصيدة القمة للباردة ؟ إلى القارىء نص تقديم القصيدة كما أوردته الأستاذ للعقاد : « للجيل قمة باردة تملوها الثلوج ، ولمعرفة كذلك قمة باردة تقتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء ، لأن حقيقة كلها ذرات ترجع إلى حركة متشابهة في كل ذرة ، تغير له ألا ينظر إلى الحقائق كل للنظر ، ولا يمرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتذكرها للبدية ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها للباردة التي لا يشعر فيها بحياة »

وجاءت القصيدة بد ذلك ، وأبياتها في وصف هذه القمة : هنالك لا للشمس دواراً ولا الأرض ناقصة زائدة وبابؤس فان يرى ما بدا من للكون بالنظرة الخالدة فذلك رب بلا قدرة وحى له جنة هامة إلى النور ، أما ثلوج القدرى فلا خير فيها ولا فائدة والمقصود بثلوج القدرى : حياة الفكر المجرد ، والمقصود بالنور

حياة الفكر الدمل

وهكذا ترى أن القصيدة ، تقديمًا وشعرًا ، ما هي إلا عرض وتحليل لمذهب من مذاهب المعرفة . ومساءلة المعرفة

لمحات المذاهب للفلسفة الرفيعة من بل في كيانه قريب في معانيه .
 وإنه لأمر مقبول - بل وواجب - أن يمتنع للكاتب والفنان
 من مذهب من المذاهب الفلسفية الرفيعة ؛ وهذه هي حالة كبار الأدباء
 في أوروبا ، فالكاتب ويلز من الآخذين بفلسفة النشوء والارتقاء
 كما بين ذلك الأستاذ (على آدم) في عدد قريب من أعداد
 « الثقافة » ؛ و (بيراندللو) متأثر بأعمال (فرويد) وكذلك
 (ليوتورمان) و (أندريه جيد)

وانظر الآن ما ذا أراد أن يقرره بشر فارس في مسرحية :
 « مفرق الطريق »

تقوم هذه المسرحية على معالجة حالة نفسية غامضة ، أو على
 تعقيد نفسى complexe psychologique ، كما يقول علماء
 النفس لليوم ، مُقَادُهَا : المرأة التي يجذبها الحب ويخاف منه ،
 والرجل التي يريد الحب ولا يعرف قلبه ، ثم الرجل الذي يريد
 ولا يستحقه . وهذه قضية من قضايا النفس البشرية ، لا علاقة
 لها بالمسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين ،
 وما يدخل في باب ما وراء الطبيعة^(١) الذي أورده الأستاذ المقاد
 في قصيدته ، ومرجه إلى فلسفة (كانت)

والمذهب الذي تزج إليه بشر فارس في مسرحيته ، قد بسطه
 في توطئة مسرحيته بسطاً محكماً ، إذ قرر أنه آخذ بالطريقة الرضوية .
 فلسفة وأدباً وفناً ، فقال في صحيفة ٦ : « وليست الرضوية ههنا
 بموقوفة على الرض بشيء إلى شيء آخر ، ولكنها فوق هذا استنباط
 ما وراء الحس من المحسوس ، وإبراز الضرر ، وتدوين اللوامع
 واللبوادة بإعمال العالم المتناسق ، المتواضع عليه ، المخلق اخلاقاً
 بكذ أذهانتنا ، طلباً للعالم الحقيقي الذي يضطرب فيه ، رضينا
 أو لم نرض ، عالم الوجدان المشرق والنشاط الكامن والجماد المتأهب
 للتحرك ، إلى ما يجري بينها من العلاقات الغريبة والإضافات الغائبة
 في منطقات الروح ومثاني المادة ، يشترك في كشفها الإحساس
 الدفين والإدراك للصرف والتخييل المنسرح »

فالمذهب الفلاني عند بشر فارس غير المذهب الفلاني

عدد الأستاذ المقاد

métaphysique (١)

La connaissance تعلق بالفلسفة العامة أو ما وراء الطبيعة ،
 بل إن هذا المذهب للفلسفي بالذات هو مذهب مشهور وصاحبه
 للفيلسوف الألماني (كانت Kant) الذي قيد الوصول إلى اليقين
 بنظريته (النسبية Relativisme) أو (القيسة)^(١) للقائمة على
 تحديد إدراك العالم الخارجي ، وهو يفتي أن تستطيع الحواس
 إدراك الأمور المطلقة أو الحقائق في ذاتها ، فالمعرفة في نظر
 (كانت Kant) نسبية وظاهرة ، تواسمها الفهم أو البديهة ،
 وأدواتها الحواس ؛ فالفكر يُبليس المعرفة شكلها دون المادة ،
 وأما المادة نفسها فهي فوق إدراكنا وإن كانت موجودة حقاً^(٢) .
 وهذا ما فسره الأستاذ المقاد بالذات في مقدمته بقوله :
 « لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس
 وتدرکها البديهة » ا

وأما ما وراء ذلك من طلب المعرفة - وطريقة الفكر المجرد
 الخالص من فعل الحواس - فيأتي بالرء في قوة لا تمتع فيها
 لعمل الفكر ، خارجة عن الحياة « لا للشمس هنالك دوارة ،
 ولا الأرض ناقصة زائدة » فإذا المرء : « رب بلا قدرة ، وحى
 له جثة هامدة »

وخير للمرء أن ينزل إلى النور ، أي إلى الأخذ بظواهر
 الدنيا ليستطيع أن يلمسها ويدركها ، فيجيب على قدر ما ركب فيه
 من إدراك وفهم
 هذا ما أراد قوله أستاذاً للكبير المقاد ، وهو من أحسن
 للشمز وأجوده وأبعده معنى

ويبين هذا المذهب وما تزج إليه في بعض مسرحياته
 (هتريك إيسن) زعيم المسرحية الحديثة وشأنج قربي ونسب .
 ومن درس (إيسن) يعرف (قمه المتلوجة) أو قمه الباردة
 ولا لوم ولا تريب على أستاذاً المقاد أن يورد قصيدة من
 شمره تحمل في طياتها نزعات فلسفية لمدرسة مروفة . فليس
 كل شاعر أو أديب مهما نبه ذكره وعلا شأنه بصاحب مدرسة
 في الفلسفة système philosophique والأدب الذي تجنوه

(١) والنسبية هنا هي غير نظرية النسبية Relativité عند العلامة
 (أينشتين) طبعا .

(٢) راجع لكل هذا أي كتاب في الفلسفة ، مثلا (دروس في
 الفلسفة ، الجزء الثاني) (نظرية المعرفة واليقين) لعلامة A. Rey الأستاذ
 بكلية باريس . لقاير Reider باريس ١٩٢٧

أن يقرب مسرحية (مفرق الطريق) من قصيدة (القمة الباردة) للمقاد فنسب تصميم رسم غلاف المسرحية إلى بشر فارس نفسه ، والواقع أن صاحبة الرسم فنانة باريسية اسمها « سوزان جوفروا » كما هو موضح في الصفحة الأولى من المسرحية المطبوعة . وقد شرح المؤلف وضع المسرح . في (التبيين) الذي صنمه للمسرحية (ص ١٤٠) مشيراً إلى رمز الغلاف ، ولم ترد في تبيينه كلمة « قبة » ولا « غور »

بعد هذا يأتي اتهام آخر له وزنه فيقول (الأديب الناقد) إن الصراع « بين العقل والشعور » وهو مما ورد في مسرحية بشر فارس ، منقول بإطاره من قصيدة للشاعر علي محمود طه الهندي عنوانها « قلبي » .

والرد على هذا أن الصراع بين العقل والشعور حقيقة من حقائق النفس البشرية ، فهي طامة ومبدولة لكل كاتب ، وما نعرف كاتباً أو شاعراً - إلا فيما ندر - لم يكن على هذه الفكرة بمض مؤلفاته . وإلى القاري أعمال (راسين) الفرنسي و (شاكسبير) مثلاً شهادة على ذلك . وما (الشاعر المهندس) إلا واحد ممن أخذوا بهذه الفكرة الثمينة . وستبقى هذه الفكرة ، كما كانت دائماً ، مديناً يأخذ منه الكتاب ما دامت النفس البشرية لم تتغير ، وما دام الكتاب ينون بتسجيل خفايا هذه النفس

وإن صح ما ذهب إليه (الناقد الأديب) في هذا الصدد ، يكون الأستاذ الكبير توفيق الحكيم الذي أقام مسرحيته الرقيقة « شهر زاد » على فكرة الصراع بين المادة والروح قد سلخ هذه الفكرة ممن سبقه إليها في الأدب العالمي ويكون الحال كذلك في مسرحيات (إبسن وشكسبير ويراندلو) الذين أقاموا مؤلفاتهم على حقائق النفس البشرية

إن الماني والفكر التداولة أشياء يشترك فيها جميع الناس فهي دوارة في نفس الجاهل والسوق ، والمتم والأديب ، وإنما الميزة بطرائق معالجتها وبالكسب التي تضيق عليها من حيث حسن التأليف وجودة التركيب والابتداع ، والنفس المبتكر الخلاق ، وهنا مجال التفاوت بإبراز للشخصية الكاملة المستقلة ؟ ومن هنا يتأتى الخلود الذي يتوج أعمال الشعراء والكتاب والفنانين .

زكي طليمات

(المقاد) مذهبه للنزول إلى ظواهر الدنيا والاطمئنان إليها من غير أن يهمل الحقائق كل الإهمال ، و (بشر فارس) مذهبه الاعتناء على البصيرة والإحساس الدقيق والإدراك الصرف مع إهمال ظواهر العالم وطلب خفاياه وبواطنه ، وهذا من المذهب الباطني أو التصوفي ، وهو مذهب معروف عند أفلاطون وبلوطينيوس والتصوفة على أشكالها ، وقد أحكم أمره أخيراً الفيلسوف الفرنسي (برجسون Bergson) وأيدته بحارب عدد من العلماء والأطباء فيما يتعلق بالعقل الباطن . وقد أسهبت في تبيين هذا المذهب في المناقشة التي دارت بيني وبين بشر فارس نفسه في (الرسالة) منذ عامين

وقد أحدثت آراء (برجسون) بدورها تيارات واسعة تأثر بها كثير من الكتاب ، وأحدثت نوعاً من أنواع الشعر الرمزي في فرنسا

فأين بصيرة (برجسون) التي أخذ عنها بشر فارس في معالجته قضية من قضايا النفس البشرية ، وذلك في مسرحية (مفرق الطريق) ، من المسائل الفلسفية الصرفة اللاحقة بنظرية المعرفة واليقين للفيلسوف (كانت Kant) التي تأثر بها الأستاذ المقاد في قصيدته (القمة الباردة) ؟

إذن يكون حقاً من محائب الفهم أن يتهم (الناقد الأديب) بشر فارس بأنه أخذ مسرحيته هذه من تلك القصيدة ويكون أيضاً من محائب الفهم ومدعشاته أن يلج (الناقد الأديب) في اتهامه هذا ، محاولاً أن يقيم الشواهد على ما ذهب إليه ، فإذا هو بتسفس ، بل هو يتباطل ولا يبالي أن يحرف المسائل عن مواضعها ، فقال إن في قصيدة المقاد يعيش العقل متجرداً من الشعور في عالم تلجى لا يشعر فيه بحياة . فأين ورد هذا في قصيدة المقاد وتقديمها ؟؟

كذلك أورد (الناقد الأديب) ألفاظاً كالعقل والشعور والتلج ، وقد غاب عن ذهنه أن التلج عند (المقاد) رمز إلى ابتعاد المرء عن ظواهر الدنيا وتقربه من الحقائق وتمسكه بالفكر المجرد . هذا في حين أن (التلج) عند بشر فارس ، رمز إلى خلاص النفس من ألم الإحساس البشري

وتورط (الناقد الأديب) فيما هو أدهى من هذا ، وهو يحاول